العدد (2059) السنة الثامنة - الخميس (3) آذار 2011 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

على هامش الصراحة

طقوس النظافة

إحسان شمران الياسري

في كل ساعة من حياتنا، نُمارس طقوس النظافة، في البيت، والمكتب.. وندّعي (القرف) من الأوساخ والقاذورات.. فنغسل أيدينا ووجوهنا كلما لامسنا شيئاً نعتقد فيه الضرورة للاغتسال.. وهذا كله جيد، وتدعونا أديساننا السمحاء للنظافة لأنها (من الإيمان)..

وتتجزأ عادة (التنظف) عندنا للأسف، فنحن نغتسل ونتعطر ونختار ثياباً نظيفة نختبئ فيها، ولكننا نُهمل أهم مَواطن عيشنا، متآلفين مع أوضاعها المزرية ومخاطرها على صحتنا ومشاعرنا وأذواقنا..

نحن نُهمل الأرض التي نمشي عليها، ونهمل الهواء (أو الجو) الذي نعيش فيه..

انظرو إلى ثقافتنا في التعامل مع المُحيط الذي نسكن فيه، فأنا لا أمانع ان يكون بباب جاري تل من النفايات طالما كان باب بيتي نظيفاً.. وأنا أقبل أن تتشكل عواصف من التراب عند مرور السيارات في شارعنا دون أن أتصرف يومياً بتوافق مع جيراني لتنظيف الشارع، ورشه بالماء.

ويتحدث رجل الدين في خطبة الجمعة، وفي الاماسي والمحاضرات الدينية، عن كل شؤون الدنيا والآخرة، ومنجزات السلف الصالح وتضحيات آل البيت في مقارعة الظلم، ومخططات الشيطان للنيل من صبرنا واحتمالنا للمعاصي، ولكنه لا يتحدث عن الشيطان الساكن على أرصفتنا وأمام بيوتنا وفي عقولنا، إذ نستسيغ رمي النفايات في الشارع، ونقذف بعلب المشروبات من زجاج سياراتنا المسرعة..

ودوائر البلديات تترك نظافة المدن لتقارير زائفة يقدمها موظفون لا ضمير لهم عن إنجازات في النظافة والطهارة تدفع الدولة بسببها ملايين الدولارات شهرياً..

إن النظافة سياق كلي يبدأ من سرير النوم وملعقة الطعام وهيكل السيارة التي نركبها.. ثم الى سياق منتظم لإدامة الحرص على نظافة المدينة ورفض ممارسات البعض لإهدارها، مع احترام البيئة التي نمضي حياتنا في ثناياها.

وعلى مؤسسات الدولة المسؤولة عن شؤون النظافة وسلامة البيئة والصحة العامة ان تُقدم إرشاداتها المستمرة، وتفرض رقابتها دون تهاون على دقة الالتزام بمعايير تحقيق النظافة وشروط البيئة السليمة والصحة المجتمعية المستدامة.

فأنا لا أعرف ما تنفقه الأمم من أجل تحقيق سعادة أبنائها من تلك المتطلبات، ولكنني متأكد من إن دولتنا الحبيبة تنفق الشيء الكثير، ولكن الأوعية (المثقوبة) هي التي تُحيل حياتنا الى جحيم لمجرد أننا لا نؤشر مواضع الثقوب، ولا نحرص على ان نتمتع بحياتنا السليمة.. ودائماً ننتظر إن تفعل الدولة كل شيء، ولكننا لا نفعل، ولا نُراقب.. بل نُخرّب، ثم نهتف ضد الحكومة.

ihsanshamran@yahoo.com

الآراء الـواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

القمة العربية.. سلامات

حينما وصلوا بغداد عام ١٩٧٨ كنا نراقب ترجلهم من طائراتهم الخاصة ، يصعدون منصة الشرف ليعزف لهم السلام الوطني ثم تقلهم سيارات سود إلى قصور الضيافة ، نتساءل نحن ، ماذا يفعلون بعد ذلك؟ ، ثم ماذا يأكلون ، ماذا يلبسون في النوم لأنه عالم لا نعرفه فنحن لا نملك الجين الوراثي المورث للرئاسة ، إنهم شيء مختلف ، وتأتي أخبار عنهم كون احدهم يشتهي الفطار أن يكون حليبا طازجا لنوع من الأبقار وصلت قبله إلى بغداد وبعضهم يأتون بطباخيهم معهم خوفا على معدتهم وقصص كثيرة عنهم سوى إننا لم نسمع عن نوع الكتب التي يقرؤون وهل حقائبهم تحوي كتبا..... او هل يقرؤون حقا.....

طالب المحسن

وفي الاجتماعات يشغلون الكراسي وينظرون بعيون نصف مغمضة ، ليسوا متوجسين من شيء ولا عندهم شيء يقولونه والخطبة معدة سلفا وقد ملوا من تكرارها ، ورغم هذا التكرار الهزيل لمسرحية رديئة لكنها مصرة على الاستمرار منذ عام ١٩٤٦ وليومنا هذا ، إصرار لأنه أصبح جزءاً من (برستيج) المنصب ، أنهم هم أنفسهم منذ كنا صغارا حتى شاب شعرنا وان لم يكن هو نفسه فإما ابنه أو قاتله ، لا جديد في هذا الشرق القديم.... وان شعبة المراسيم في الدائرة المعنية للاجتماعات ليست لديها شيء جديد سوى ان ترسل دعوة الزيارة المجيرة لهم هم أنفسهم، لكن هذه السنة ٢٠١١ يبدو أنها سوف تربك دائرة المراسيم ولن يتضح لها اسم المدعو ، هذه السنة ٢٠١١ لن تكون عاما للايدز او انفلاونزا الطيور او الخنازير، أنها بحق انفلاونزا الحكام ، وإنهم المساكين يحاولون عبثا تناول أمصالاً لتطيل مقاومتهم لكن الطوفان قادم وكبير وسوف يكتسحهم تماما لأنهم وببساطة أبوا أن يسمعوا وحين تداركوا أمرهم في الوقت الضائع يكون سيف الشعب قد غادر غمده. مسكينة قمة بغداد كيف سيحضر المدعوون؟ وماذا يقولون؟ وحتى عيونهم النصف مغمضه قد كسرتها غضبة الشعوب، وهذه الغطرسة والخطب الرثة لن تجد أذناً صاغية بل ستجد شعوبا متحفزة كرهت ضعفها وقررت إنهاء مارثون الزعماء ولن يقبلوا منذ الآن إلاّ بسباق المسافات القصيرة . في أزمنة الرؤساء الذهبية قد تسرب خبر ان أجهزة مخابرات معادية تمكنت من الحصول على نموذج من إدرار أحد الرؤساء ، وكان على ذلك الرئيس المعروف إدراره الآن أن يعاقب جميع المرافقين له وإلا كيف وصل إدراره خارج الأمة؟ وان الأعداء سيعرفون نسبة الأملاح ونوع الجراثيم المتوطنة فيه وان كان يعاني التهاباً في البروستات وغيرها وهذه كلها أسرار مهمة جدا بل أنها لب الأسرار ونحن المساكين كنا نقول إذا كان إدرار الرئيس بهذه الأهمية فكيف سيكون برازه، لعابه، بل كيف سيكون دمه؟ هؤلاء الرؤساء مالكو رقابنا ومصائرنا من يستطيع الوصول الى دمهم؟ وان موضوع الغارة اللئيمة على إدرار الرئيس هي غلطة لن تتكرر، وقد بشرنا منظمو اجتماعات القمة في حينها بأن دورة المرافق ستكون غير سالكة للأخير بل مرتبطة بخزانات تجمع ما يطرحه الرئيس وتؤخذ معه كونها إرثاً وطنيا غاليا فنامت عيوننا ملء شواردها . وحين يتحدث احدهم بعد ان يقدمه مسؤول الجلسة يسبغ عليه الألقاب والرتب وأخيرا يأتي اسمه ، اسم الرئيس أيضاً مهم جدا فلن تصله إلا بعد سلسلة من الكلمات بل ان بعضهم أضاف كلمات أخرى بعد اسمه إذ لا يصح أن يكون الرئيس على الحافة بل يجب ان يغطى من اليمين واليسار . نادرا ما نرى الوفد المرافق للرئيس يتكلم مع الرئيس فأنهم موجودون كجزء من الابهة، ثم عماذا يتكلمون؟ أن الموضوع عتيق جدا .

وبالمناسبة الرؤساء نادراً ما يمرضون وبالطبع فهم لا يموتون إلا بمؤامرة من الأجانب الذين يكرهوننا ويكرهون تطورنا. لقد وقعنا بخطأ حين سمحنا للأجنبي تلويث دم جمال عبد الناصر وكذلك ياسر عرفات وإلاّ لكانا ليومنا هذا معنا ويحضران القمة المشكوك بانعقادها. الرؤساء يعالجهم فريق من المخابرات والعائلة،وأخيرا الأطباء وان الشائعات التي تخرج عن مرضهم هنا وهناك هي شائعات حاقدة ، أنهم بشر خارج إطار البشر الذي نعرفه .

حين بدأ صدام ببناء قصره الجديد وكان المهندس المسكين يشرح على نموذج مصغر حتى وصل الى مكان في القصر قال المهندس للرئيس: إن هذا ملجأ لأننا كما نعرف جميعا الاعداء الذين يكرهوننا يستهدفون الرئيس دائما وقد قبل الرئيس بالفكرة لكن احد المؤرخين الحاضرين في ذلك الاجتماع صاح بعلو صوته ان الرئيس لا يلجأ، هذه التسمية خطأ بل قل ان هذا حصن فإن الرئيس يتحصن ليس إلاّ لأنه لا يخاف الاعداء الذين يكرهوننا ، وفعلا أثبتت الأيام القادمات أن لصدام حصناً تحت الأرض لا يختلف عن جحر أرنب.

طبعا زين العابدين قرأ الرسالة وجنب نفسه هذا الحصن واختصر الطريق وقد يأتي يوما يعاد تقييم زين العابدين لموقفه هذا وتجنيب اهله الدماء . حسني مبارك ظن نفسه يحسن اللعبة ، ولكن مع مين؟؟!! فسلك الطريق ذاته الى طحال الرؤساء ، الطحال في الجسد هو مقبرة كريات الدم الميتة وأصبحت السعودية الآن طحالا كبيرا للرؤساء المهزومين. ليست قياسات الرؤساء فوق البشر فحسب بل حتى أبنائهم ، أليسوا هم رؤساء المستقبل؟

فدائما نراهم قياديين ، أذكياء ، أبطال وهذه الأوطان ملك عضود لهم ونحن الشعوب مجرد كورس إنشادي ليس إلاّ . يبدو هذه الأيام ان الكورس الإنشادي سئم اللعبة وعرف تماما ان الرؤساء ليسوا جينا وراثيا خاصا وانإسقاطهم لا يحتاج لدبابات وطائرات ، فعربة خضراوات كانت كافية لهروب (زين العابدين) وان تجمعا في ميدان التحرير او ساحة التحرير كافية جدا لإزاحة بقية (العابدين). إن الساعة العربية العاطلة منذ عقود باتت الان تشير الى الزمن بدقة متناهية ، انه زمن الشعوب التي تصر على أن تكون جزءا حيويا من حركة الكون .

موسم سقوط الثقافة السياسية الفاشية عربياً

هل يمكن القول أن العرب (شعوباً، لا حكومات) بدءاً من يناير ٢٠١١، شرعوا بدخول القرن الحادي والعشرين؟ أو إنهم، على الأقل انتفضوا، بعد سبات، من أجل دخول هذا القرن؟ وهل نحن، اليوم، بالتناظر مع حدث سياسي مجتمعي عاصف وغير مسبوق (تظاهرات شعبية مليونية تُسقط، في غضون أسابيع قليلة، أنظمة حكم ديكتاتورية عائلية استأثرت بالسلطة لعقود طويلة) نشهد تغيرات في الثقافة السياسية السائدة ستقود، آجلاً أو عاجلاً، إلى تغييرات بنيوية عميقة في المجتمع والدولة العربيتين؟

سعد محمد رحيم

هيمنت، لأكثر من نصف قرن، في البلدان العربية ثقافة سياسية ذات طابع شعبوي، كلياني، يمكن نعتها بالفاشية مثلت المرجعية الإيديولوجية، على اختلاف ألوانها ومسمياتها، لمعظم أنظمة الحكم فيها. وهي فاشية مهجّنة مقلدة شوهاء ومكيّفة مع موروث محلي سياسي استبدادي ذي جذور موغلة في التاريخ. هذه الفاشية تختلف قطعاً عن الفاشية الأوروبية الصافية (حكم موسوليني في إيطاليا، وهتلر في ألمانيا النازية، في سبيل المثال) لأنها قامت على قاعدة من شبه الدولة وليست الدولة بمعناها القانوني والمؤسساتي المعاصر والمتقدم. سندها الأكبر العائلة والقبيلة، أو الطائفة والمذهب، أي تلك الهويات الفرعية (ما قبل الدولتية). وشبه الدولة هذه استعارت من الأنظمة الفاشية الغربية أساليب أجهزتها المخابراتية القمعية، وطرق رقابتها للمجتمع، وتحكمها بمفاصل الحياة كافة، وهيكلها الإداري البيروقراطي القائم على تراتبية صارمة في معمار هرمي، جاثم على النفوس والأرواح والعقول بقسوة، حيث يقف الحاكم في أعلاه. وقد يبدو الهرم، عندنا، مقلوباً أحياناً (بلغة المجاز، وبوصف مراقب سياسي غربي) إذ يُمسك الديكتاتور الهرم بكامله، وقد جُعل عاليه سافله، من الأسفل والذي سينهار، أو هكذا يأمل ذلك الديكتاتور بمجرد سقوطه وسقوط نظامه هو.

بيد أننا نتحدث، في هذا المقام، عن فاشية من نمط خاص، محوّر: فاشية ليست قاهرة للمحكومين وحسب، وإنما ضيقة الأفق في تطلعها الحضاري، وعاجزة عن بناء المجتمع وتخليق شروط النهوض بالدولة وتنمية الموارد الوطنية.. فاشية فاسدة حتى النخاع نجحت في أمرين لسنوات طويلة؛ الأول ضمان ركود سياسي وعلمي واجتماعي واقتصادي وثقافي عام أساسه سياسات هدر للموارد وسرقة للمال العام وإشاعة مناخ من الجهل والتخلف، وتمزيق اللحمة الاجتماعية الوطنية، وعزل إعلامي منظّم. والثاني التشبث بكرسي الحكم حتى الرمق الأخير، في أغلب الأحيان. والنجاح في الأمر الثاني قد عُزّز، وكان تحصيل حاصل للنجاح في الأمر الأول. وصلت هذه الفاشيات إلى سدة الحكم إما من طريق الانقلابات العسكرية أو التوارث العائلي/ القبلي، ولهذا فهي تفتقر أولاً للشرعية. ولسد هذا النقص المريع رفعت شعارات براقة للاستهلاك الإعلامي والسياسي لم تكن بمستطاعها تحقيقها أو لم تكن جادة في ذلك (الوحدة العربية، تحرير فلسطين، الاستقلال السياسي والاقتصادي، الاشتراكية، الخ..).. كان الشعار بديلاً عن الممارسة فيما الفئة الأوليغارشية الحاكمة تحتكر لا السلطة والثروة والنفوذ وحدها وإنما تمثيل المجتمع الذي لن يُسمح له بتمثيل نفسه، وحيث يستوعب المجتمع السياسي المجتمع المدني ويمسخه، فيُختزل الشعب والتاريخ والمبادئ في صورة النظام الحاكم التي تتجلى أخيراً في صورة الحاكم الملهم/ المفدى (بالروح، بالدم)!. أما التشدق بالشعارات والأفكار الدونكيشوتية فيكفي معياراً ومسوّغاً للقمع وتكميم الأفواه واستمرار حالة الطوارئ، وتأجيل منح الحريات وتكوين المؤسسات الديمقراطية، إلى أجل غير مسمى. أو تبني أشكال كاريكاتورية زائفة لما تسمى بالبيعة والانتخابات بدعوى أنها صيغة ديمقراطية (خصوصية). وهذا كله ما كان ليستقيم من غير ما يمكن أن نطلق عليه بصناعة الخوف وتعميمه على وفق مبدأ قديم مؤداه؛ (فليكرهوا ما شاء لهم الكره، المهم أن يخافوا).

تلجأ الفاشية إلى صناعة أخرى هي صناعة العدو (الداخلي والخارجي) لتخوين أي صوت معارض وإشاعة الرعب عند الناس من شبح ذلك العدو المتربص على الأبواب!. وهنا يُفسَّر أي نوع من الاحتجاج والتمرد بأنه ذو أجندات داخلية أو خارجية (هذا ما قاله زين العابدين بن علي في تونس في أثناء التظاهرات الشعبية التي أطاحت بنظام حكمه، ومثله فعل حسني مبارك في مصر، ومعمر القذافي في ليبيا، وعلي عبد الله صالح في اليمن، والقائمة تطول). في مثل هذا المناخ السياسي يُعسكر المجتمع، أو يتحول الوطن بجغرافيته كلها إلى ثكنة عسكرية واسعة ومقابر كبيرة. وتشيع نظرية المؤامرة لتكون جزءاً من الثقافة السياسية، وحتى الاجتماعية، السائدة.

تحاول الأنظمة الفاشية أيضاً الاستحواذ على المشاعر واحتكارها واستثمارها لصالحها، فهي تقوم بإحياء المهرجانات الصاخبة وتأميم مناسبات الفرح والحزن التقليدية. وقد يصل الوهم عند بعضهم إلى حد تصور احتكار حب الناس كما في رواية ١٩٤٨ لجورج أورويل حيث يُمنع الحب لأي كان، بقرار سياسي!!، ويوجّه فقط لشخص الأخ الأكبر/ الديكتاتور. ولعل القذافي في مقولته الكوميدية/ التراجيدية: المضحكة والمبكية الأخيرة؛ (الشعب الذي لا يحبني لا يستحق الحياة) خير تجسيد واقعي لمتخيل أورويل الروائي.

يطغى الهاجس الأمني، على ما عداه، في ظل مثل هذه الأنظمة. والمقصود بالأمن، ها هنا، بطبيعة الحال، هو أمن النظام الذي يغدو مؤسسة أمنية مخابراتية مرعبة في مقابل جعل المواطن العادي في حالة من القلق المستديم وانعدام الطمأنينة والتوجس من المستقبل. شاعرا، في قرارة نفسه، بالتهديد، وبأنه مراقب، وبأنه خارق للقوانين الجائرة ويمكن أن يُعتقل ويُعاقب، في أية لحظة. إلى الحد الذي لن يكون بمقدوره حتى رؤية أحلام مفرحة، ويغدو ليله أرقا وقلقا وكوابيس.

أما السمة الأبرز للأنظمة الفاشية، ومنها الفاشيات العربية المهجّنة، فهي تطيّرها من النقد جاعلة نفسها فوق الصواب والخطأ، ساعية إلى إقناع الآخرين (رعيتها) أنها معصومة كما بأمر إلهي. وأنها جاءت تلبية لنداء التاريخ والقدر. وأنها الممثلة بامتياز لقيم الحق والخير والجمال. إذ حتى القيم الجمالية يجري تحديدها على شاكلة عدّ كاتدرائية في عاصمة البطريرك في رواية ماركيز الشهيرة (خريف البطريرك)، بمرسوم جمهوري، أجمل كاتدرائية في العالم.. هنا تتسع مساحة الممنوع والمحرّم ويُقنن سلوك الرعية حد التفاصيل الصغيرة، ويُؤطر تفكيرها في ضمن أفق غاية في الضيق، ويُحجّم قاموسها اللغوي لإخلاء اللغة من بُعدها السالب وروحها الجدلية لتكريس التغيبة والجهل. فتشتغل عندئذ آليات الإقصاء والإدماج من منطلق إنْ لم تكن معي فأنت إذن عميل للأجنبي ومارق ومجرم، وضد القيم والوطن والدين والماضي والحاضر والمستقبل. وبهذا تكون كل قوة معارضة للنظام الفاشي خاطئة بالضرورة وخائنة وتستحق التصفية الدموية. هذا ما سيؤول بذلك النظام منطقياً إلى تسويغ أخطائه وحماقاته وظلمه وفشله. لتصوُّر حتى الهزيمة النكراء انتصارا (ادّعاء صدام بانتصاره في حرب ١٩٩١، في سبيل المثال).

الفاشية في النهاية هي نظام الحكم الذي يُصادر كل شيء (الثروات والأفكار والقيم والتقاليد والمشاعر والمناسبات والتاريخ والرموز) من منطلق ميكافيلي، براغماتي ضيّق، ليستثمره لصالح بقائه واستمراره. فيبدّل جلده بحسب تقلبات الظروف. وقد يركب موضة سياسية شائعة (الاشتراكية، الديمقراطية، العولمة، المد الديني، الخ..) وعند الحاجة يتاجر بالدين ويتصنع التقوى فيما يُمارس في الخفاء معظم أنواع الموبقات كالارتشاء وسرقة المال العام والكذب على الناس والتمتع بلذائذ الحياة؛ حلالها وحرامها.

والمفارقة الغريبة في تاريخ الفاشيات العربية هي أنها لم تعمل قط على إرساء دعائم دولة حقيقية كما كانت الحال مع الفاشيات الأوروبية. ربما لافتقادها الإرادة الوطنية، أو نتيجة تبعيتها، أو لاعتمادها على اقتصاد ريعي ما قبل صناعي، أو لاعتقادها بأن بيئة متخلفة خير ضمان للاستمرار في السلطة. حيث تكون الدولة، أو شبه الدولة القائمة، امتداداً للقبيلة أو الطائفة وصورة مضخمة، متورمة، عنها. وفي ظل نظام مثل هذا تضعف سلطة القانون، وتتحول أقطاب النظام إلى مافيات أخطبوطية تستحوذ على كل شيء، فتتعمق الفوارق بين من يحكمون ويملكون وبين من لا يحكمون ولا يملكون. وتتريّف المدن وتتشبّح، فاقدة رونقها الحضاري ومسحتها الثقافية/ الحداثية.

تتضامن هذه الأنظمة وتتآزر في ما بينها في ساعات الخطر والمحنة مثلما حدث بين أنظمة (بن علي ومبارك والقذافي) مؤخراً، فتتجاوز خلافاتها ليسند بعضها بعضاً. وقد تتباين موجهاتها الإيديولوجية وأشكال مؤسساتها لكنها تتشابه في بناها العميقة: في آليات السيطرة والتحكم التي تتّبعها، وفي كثير من جوانب خطابها السياسي والإعلامي، ولغتها وطروحتها الثقافية.

كانت الثقافة السياسية المهيمنة عربياً، لاسيما منذ الخمسينيات من القرن المنصرم وبعد الانقلابات العسكرية الثورية، ذات صبغة طوباوية مرمنسة.. كانت عبارة عن سردية مبرقشة تحكي بشعارات وعبارات عالية النبرة وجوفاء عن بطولات وأمجاد وانتصارات وتحولات مرتقبة لا سند لها من الواقع. والتي آلت في ما بعد إلى انتكاسات وهزائم وخسارات في الفرص والموارد وإزهاق ملايين الأرواح بلا جدوى.. توشحت تلك الثقافة ببلاغة فضفاضة، ولغة غاية في الرثاثة، روّج لها إعلام سلطوي حكومي يحتكر الفضاء المعلوماتي: يموّه ويكذب ويهيّج الانفعالات التي سرعان ما تبرد وتهمد، ويمنح الوعود الكبيرة، ويحقق المعجزات على الورق وبالكلام الصارخ. لغة وبلاغة مشحونة بالعنف وكراهية الغير والخشية من المؤامرات.

يعلمنا أنطونيو غرامشي أن ثقافة الطبقة المهيمنة بحكم عوامل عديدة يمكن أن تكون بمرور الوقت هي الثقافة المتبناة من قبل الطبقات والشرائح الاجتماعية المتضررة من تسيّد تلك الثقافة. وهكذا تتوغل كلمات وعبارات وجمل بعينها إلى اللاوعي الجمعي للمجتمع (المنغلق على نفسه قسراً) بحكم تكرارها وغياب البديل والمضاد لها. وفي مثل هذا المناخ السياسي والاجتماعي علينا أن نتوقع، وهذا ما غاب عن بال الأنظمة العربية الفاشية نتيجة قصور نظرها، ولادة وحش (فرنكشتاين) يمكن أن يشيع الخراب، ويلتهم حتى الأنظمة التي ساعدت بغباء في خلقه، والمتمثل بالأصوليات الإرهابية المسلحة.

في مقابل هذا ثمة ثقافة جديدة بازغة عربياً، الآن، راحت تحرّك العقول وتوقظها من خمودها.. تتسلل عبر الثغرات الكبيرة التي تحدثها كل يوم قنوات الفضائيات ووسائل الاتصال الحديثة في الجدار الفاشي العربي. ثقافة غضة فتية في مناخنا، لكنها قوية صلبة وواثقة من نفسها، قوامها مفردات من قبيل (حقوق الإنسان، والمجتمع المدني، ومبدأ المواطنة، والتسامح، والإصلاح السياسي، والحريات المدنية، والتنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، والبناء والديمقراطية والانتخابات وتداول السلطة، وإعادة توزيع الثروة بعدالة، وحق الشعوب في التمتع بثرواتها، ولا قدسية النخب الاستبدادية الحاكمة، وصوت الشعب الذي يجب أن يُسمع، الخ، الخ..). وإنْ كان بعض هذه المفردات والعبارات معروفة لدينا منذ سنوات ليست بالقصيرة غير أنها لأول مرة باتت تكتسب معناها الحقيقي وتلامس الأرواح وتغيّر العقول. وربما تمهّد لنهضة عربية فعالة ثانية بعد أن أجهضت النهضة الأولى التي انطلقت بدءاً من منتصف القرن التاسع عشر على يد مفكرين مصلحين كبار خرجوا من المؤسسة الدينية وخالفوا أفكارها التقليدية، أمثال الطهطاوي والأفغاني ومحمد عبدة والكواكبي وخير الدين التونسي وطه حسين وعلي عبد الرازق.

ينبغي أن نكون حذرين أيضاً، ولا نبالغ في تفاؤلنا، فالانعطافات الكبرى في الواقع التاريخي للشعوب وثقافاتها لا تحدث بين ليلة وضحاها، وهي بحاجة إلى وقت قد يطول، ويكون، غالبا، بحاجة إلى أثمان باهظة ومؤلمة لابد من دفعها، كما يخبرنا التاريخ وتجارب الشعوب المتمدنة. لكن ما نستطيع تأكيده هو أن تلك الثقافة السياسية التي هيمنت لعقود والأنظمة الفاشية التي امتحت منها طويلاً دخلت طور السقوط والانهيار بعد أن فقدت مسوغات استمرارها، ربما منذ هزيمة ٥ حزيران ١٩٦٧. وأن شروط وعوامل انبثاق ثقافة سياسية جديدة، في الواقع العربي، آخذة بالنضوج.

أهمية وظيفة الإدارة

صبيح الحافظ

نقرأ في الأخبار والتقارير الصحفية بين الحين والآخر مطالبات بإقالة مسؤول رفيع المستوى واستبداله بآخر بسبب عجزه وضعف أدائه الوظيفي ، وفي واحدة من المحافظات تتهم رئيسة لجنة الخدمات في مجلس المحافظة مدراء الدوائر الخدمية في المحافظة بالتقصير في أداء واجباتهم تجاه المواطنين داعية وزارة البلديات والأشغال العامة الى تغيرهم ، فيما طالب متضررون الجهات الحكومية بتغريم المدراء مادياً بحجم الخسائر والأضرار التي لحقت بهم جراء ذلك التقصير.

وأضافت رئيسة اللجنة بقولها إن اغلب مدراء الدوائر الخدمية لا يعملون ولا ينجزون ما عليهم من واجبات، مشيرة إلى أن اغلب المشاريع الخدمية لا تنفذ وفق المواصفات الفنية مما يجعلها غير ذات نفع للمواطن ، وبالتالي لاتكون تلك المشاريع في خدمة الصالح العام .

وقد أكدت رئيسة اللجنة أن تهمة تقصير مدراء الدوائر الخدمية أصبح واضحاً من خلال غرق العشرات من المنازل السكنية بسبب الأمطار الغزيرة التي هطلت قبل أيام ، موضحة أن معاناة الأسر المتضررة يتحمل تبعاتها مدراء الدوائر الخدمية المختصة.

وفي هذا السياق يذكر احد المواطنين المتضررين ، بقوله: أن مليارات الدنانير أنفقت على مشاريع مجار وطرق ، ولكن الأمطار كشفت عدم وجود خدمات حقيقية داخل مناطقنا .

وفي محافظة أخرى وعلى خلفية عدم قدرة مجلس المحافظة على تقديم الخدمات بسبب التجاذبات السياسية داخله والتي تحد من عمله الأساسي طالب هذه المرة عدد من أعضاء مجلس المحافظة أنفسهم بحل المجلس، حيث دعت عضوة المجلس (رئيسة هيئة المستشارين) مع (٦) من أعضائه إلى مطالبة الحكومة المركزية في بغداد أن تحل محل المجلس وأن تتولى إدارة شؤون المحافظة ، إذ بينت بمقترحها أن هناك مشاكل كثيرة تصادف المجلس وتعيقه من أداء عملية تقديم الخدمات وإنجاز المشاريع، حيث هناك تلكؤ واضح في تنفيذ المشاريع المحالة للتنفيذ منذ ٢٠٠٨ ولم تنجز لحد الآن من قبل الجهات التنفيذية وعدم محاسبة المقصرين من مقاولين ومهندسين ومشرفين إذ لاحظنا أن بعض الإعمال التي تنفذ الآن فيها أخطاء تصميمية وفنية، وعلى سبيل المثال مشروع تبليط طريق (.....) يتم على ارض غير محدولة وبطريقة مخالفة لكل الشروط والتعليمات رغم كون هذا الطريق مهم جداً في المحافظة ولم يحاسب أي مسؤول إداري عن تلك الأخطاء .

وفي محافظة ثالثة قامت (الإدارة) المسؤولة والمشرفة على تنفيذ المشاريع بتسلم مشروع(.....) بعد إكماله من قبل المقاول تسلماً نهائياً وأطلقت تأميناته وأنهت مسؤولياته ، ولكن ظهر بعد فترة قصيرة عدد من النواقص والأخطاء ، فعلى سبيل المثال ان المواد الإنشائية المستعملة هي مخالفة للمواصفات المواد المطلوبة في شروط المقاولة ، إضافة الى أن المشروع لم ينجز بموجب الخرائط والمخططات مما أدى الى حدوث إشكالية بين الإدارة المسؤولة في الحكومة المحلية والمقاول المنتهية مسؤولياته وصلت أبعادها وتداعياتها الى هيئة النزاهة.

نحن نعتقد أن السبب الرئيس في تدني المستوى النوعي في تنفيذ بعض المشاريع والأبنية في بغداد والمحافظات وخاصة تلك التي يديرها ويشرف عليها مهندسون حديثو الخبرة والمعرفة اللازمتين لوظيفة (الإدارة) الجيدة والفاعلة التي تكتسب كما هو معروف من خلال ممارسة الخدمة الطويلة في الوظيفة كونهم حديثي التعيين.

على العموم نعود ونقول : إن الذي لا يقدر أهمية وظيفة (الإدارة) حق قدرها ، لا يستحق أن يتبوّأها ، ولا أن يكون جديراً لها.